عالم النبات
فى
القرآن الكريم

دكتور

عبد المنعم فهيم الهادى

كلية العلوم - جامعة الزقازيق

دكتورة

دينا محسن بركة

كلية العلوم - جامعة الزقازيق

فرع بنها

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٤٥٨ عبد المنعم فهيم الهادى.
م ن ع ا عالم النبات فى القرآن الكريم/ عبد المنعم فهيم الهادى، دينا محسن بركة. - القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.
٢٢٠ ص : إيض؛ ٢٤ سم .
يبليوجرافية: ص٢٠٧-٢١٢
يشمل على ملحق.
تدمك : ٦ ـ ١١٦٢ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
١ ـ النبات، علم. ٢- القرآن الكريم والطب. أ- دينا محسن بركة، مؤلف مشارك. ب- العنوان.

تصميم وإخراج فنى
عادل عزب

أميرة للطباعة عابدين - ت : ٣٩١٥٨١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى زهرة الحياة الدنيا

إلى الأبناء الأعزاء

محمد و مريم

نهدى هذا الكتاب

المؤلفان

المحتويات

الصفحة

الإهداء ٣
مقدمة ٧

الفصل الأول
العمليات الزراعية

الزراعة ١٣
الزراعة فى القرآن الكريم ١٥
الحرث ٢٣
الحرث فى القرآن الكريم ٢٤
الحصاد ٣٠
الحصاد فى القرآن الكريم ٣٢
المرعى ٣٦
المرعى فى القرآن الكريم ٣٧

الفصل الثانى
آيات فى دنيا النبات

النبات ٤٣
النبات فى القرآن الكريم ٤٥
الحبة ٥٠
الحبة فى القرآن الكريم ٥١
الإنبات ٥٧
الإنبات فى القرآن الكريم ٦٠
الساق ٦٦
الساق فى القرآن الكريم ٧١
الورقة ٧٢
الورقة فى القرآن الكريم ٧٩
السنبلة ٨٢
السنبلة فى القرآن الكريم ٨٣
الثمرة ٨٦
الثمرة فى القرآن الكريم ٨٧
الفاكهة ٩٩
الفاكهة فى القرآن الكريم ١٠١
الشجرة ١٠٥
الشجرة فى القرآن الكريم ١٠٦

الفصل الثالث
نباتات جاء ذكرها فى القرآن الكريم

١- الأثل ١٢١
الأثل فى القرآن الكريم ١٢٢

٢- البصل ١٢٤
البصل فى القرآن الكريم ١٢٥
٣- التين ١٢٧
التين فى القرآن الكريم ١٢٩
٤- الخردل ١٣٠
الخردل فى القرآن الكريم ١٣٢
٥- الخمط ١٣٣
الخمط فى القرآن الكريم ١٣٤
٦- الرمان ١٣٦
الرمان فى القرآن الكريم ١٣٨
٧- الريحان ١٤٠
الريحان فى القرآن الكريم ١٤١
٨- الزقوم ١٤٢
الزقوم فى القرآن الكريم ١٤٣
٩- الزنجبيل ١٤٧
الزنجبيل فى القرآن الكريم ١٤٨
١٠- الزيتون ١٤٩
الزيتون فى القرآن الكريم ١٥١
١١- السدر ١٥٥
السِّدر فى القرآن الكريم ١٥٦
١٢- الطلح ١٦٠
الطلح فى القرآن الكريم ١٦٣
١٣- العدس ١٦٤
العدس فى القرآن الكريم ١٦٥
١٤- العنب ١٦٦
العنب فى القرآن الكريم ١٦٧
١٥- الفوم ١٧٥
الفوم فى القرآن الكريم ١٧٥
١٦- القثاء ١٧٧
القثاء فى القرآن الكريم ١٧٧
١٧- الكافور ١٧٨
الكافور فى القرآن الكريم ١٨٠
١٨- المتكأ ١٨١
المتكأ فى القرآن الكريم ١٨٢
١٩- النخيل ١٨٤
النخيل فى القرآن الكريم ١٨٧
٢٠- الورد ١٩٧
الورد فى القرآن الكريم ١٩٨
٢١- اليقين ١٩٩
اليقطين فى القرآن الكريم ٢٠١
خاتمة ٢٠٥
المراجع ٢٠٧
ملحق: ألفاظ عالم النبات الواردة فى القرآن الكريم ٢١٣

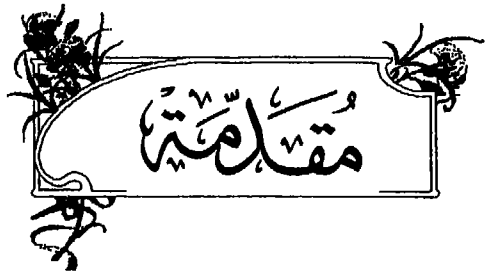

الحمد لله منزل القرآن، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فهذا كتابنا الثالث ضمن سلسلة (**عالم النبات**) والتى صدر منها الكتاب الأول «**عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد**»، والكتاب الثانى «**عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ**». ولقد اخترنا لهذا الكتاب عنوانًا «**عالم النبات فى القرآن الكريم**»..

والقرآن الكريم كتاب الإنسانية كلها، أنزله الله تعالى لهدايتها فى جميع عصورها وأجيالها، ذلك الكتاب الذى ختم الله به وحيه، وختم بشريعته شرائعه السماوية، فلا نبوة بعد نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، ولا كتاب ينزل من السماء بعد القرآن الكريم، ولا شريعة تصلح لسعادة الدنيا والآخرة بعد شريعة القرآن.

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير فيحيى فيه عوامل النمو والارتقاء، وبواعث الخير والفضيلة. وتتدفق من آياته المعانى الفائقة، وتتجلى من آفاقها الأسرار الخارقة، فهو معين لا ينضب، لم يختص به جيل، فهو آية الله السائدة، ومعجزة الرسول الخالدة.

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هذه العلوم التى ذخر بها. والتى بلغت من نصاعة البرهان، وقوة الحجة مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمى نشأ بين الأميين أن يأتى بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من أدباء وعلماء وفلاسفة وحكماء أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف. فكيف يستطيع رجل أمى، لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ فى بلد علم وتشريع، ولا فى بيئة ذات حضارة ومدنية أن يأتى بمثل ما فى القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقًا وكمالاً، مؤيدا بالحجج والبراهين بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئا عنها.

وهذا ليس رأى العرب والمسلمين فحسب، ولكن رأى غيرهم من الغرب أيضا. قال المستشرق الألمانى (د. شوميس) فى القرآن الكريم: يقول بعض الناس أن القرآن كلام محمد، وهو حقا محض افتراء، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد ﷺ، فليس فى استطاعة محمد ذلك الرجل الأمى فى تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تُحار فيه عقول الحكماء. وقال الماجور (أرثوليونرد): ليس من بين المكتشفات العلمية الحديثة مسألة واحدة تتعارض مع الأسس والقيم الإسلامية، فالانسجام قائم بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية.

وعلم النبات من العلوم التى تتجلى فيها آيات الله العظيم، ففى كل ورقة من أوراق الشجر، وفى كل بذرة من بذوره دلالات وإشارات تتجه كلها إلى السماء وتقول: سبحان الله الخالق العظيم.

والقرآن الكريم يذخر بآيات كثيرة ذُكر فيها النبات بأجزائه المختلفة وأنواعه المتعددة. وكرم الله سبحانه وتعالى النبات بأن أقسم به فى قرآنه العظيم، وجعله من نعمه على عباده فى الجنة.

ويرى الإنسان أن حياته لا تستغنى عن النبات؛ ففى النبات غذاؤه، وفاكهته، ودواؤه، وملبسه، وفيه لذته ومتعته. وهناك تلاؤم وثيق بين الإنسان والنبات، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فهما يتبادلان المنافع وأسباب الحياة المتبادلة.

وإننا نسجد لله تعالى شكراً أن وفقنا إلى جمع مادة هذا الكتاب من مصادره الأساسية. ولقد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول. أوضع **الفصل الأول** تحت عنوان «**الزراعة فى القرآن الكريم**»، وضم العمليات الزراعية التى ذُكرت فى القرآن الكريم كالزراعة، والحرث، والحصاد، والمرعى، وقمنا بشرح هذه العمليات شرحاً علميا مبسطا، ثم تطرقنا لآيات القرآن الكريم التى ذُكرت فيها الزراعة وعملياتها. وحاولنا قدر المستطاع إبراز قدرة الله سبحانه وتعالى، وإعجاز القرآن فى هذا المجال. أما **الفصل الثانى** من الكتاب فاخترنا له عنوانا: «**آيات فى دنيا النبات**». واشتمل على مبادئ وأسس علم النبات التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم، وكذلك أجزاء النبات المختلفة كالسيقان، والأوراق، والحبوب، والثمار. وحاولنا إظهار وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم فى هذه الناحية العلمية الدقيقة. أما **الفصل الأخير** فعالجنا فيه النباتات التى ذُكرت تحديداً بالاسم فى القرآن الكريم، واخترنا لهذا الفصل عنوانا «**نباتات جاء ذكرها فى القرآن الكريم**».

وضم هذا الفصل واحداً وعشرين نباتًا رُتبت ترتيبًا أبجديًّا. وقمنا بشرح موجز لأهمية كل نبات من الناحية التاريخية والطبية وغيرها، ثم شرحنا الآيات القرآنية الكريمة التى ذكرت أو أشارت إلى هذه النباتات. وحاولنا أن نربط بين آيات القرآن المختلفة خاصة تلك الآيات التى اشتملت على أكثر من نبات لإبراز جانب من إعجاز القرآن الكريم فى هذا المجال.

وقد يلاحظ القارئ أن هناك تكرارا لبعض النباتات المذكورة في هذا الكتاب مع الكتب التى صدرت لنا «**في سلسلة عالم النبات**». إلا أنها مشروحة فى هذا الكتاب بطريقة مختلفة حتي لا يحدث تكرار.

ولقد راعينا فى هذا الكتاب البساطة فى العرض والدقة فى نقل الآيات القرآنية الكريمة، والأمانة فى إبراز آراء العلماء وتفسيرهم لهذه الآيات. وقد ذيلنا الكتاب بملحق به قائمة تشمل كل ألفاظ عالم النبات التى ذُكرت فى القرآن

الكريم، وعدد مرات ذكرهـا، واسم السورة القرآنية التى ذُكرت فيـها؛ حتى تظهر الصورة واضحة أمام القارئ فى شكل مختصر.

ولقد بذلنا جـهدنا ليخـرج هذا الكتاب فى صـورة أفضل من سابقـيه، ولا ندعى لعملـنا الكمال ولا القرب منه. وندعـو الله أن يكون هذا العمل فى مـيزان الحسنات لنا يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفان

الفصل الأول

العمليات الزراعية

الزراعة

الزراعة من أهم الأنشطة التى يمارسها الإنسان، فهى تمدنا تقريبًا بكل ما نحتاجه من غذاء، بالإضافة إلى توفير مستلزماتنا من الكساء والمأوى، وليس هذا فحسب بل توفر لنا المواد الضرورية لبعض الصناعات الأساسية مثل الدهانات والمواد الطبية. ويقولون: لولا الزراعة ما قامت الحياة البشرية على الأرض بشكلها المعروف لنا الآن.

وحاول علماء الآثار والحفريات والزراعة أن يحددوا بالدقة كيف ومتى وأين بدأت الزراعة على سطح الأرض؟ والحقيقة أنه يصعب الإجابة على هذه الأسئلة على وجه التحديد. ولكن المتفق عليه أن نوعا من الزراعة كان معروفًا منذ ٩٠٠٠ سنة ق م، حيث اتخذ الإنسان أول خطوة نحو الزراعة، عندما اكتشفت بعض القبائل أن النباتات يمكن أن تنمو من البذور، وهذا الاكتشاف رسم الطريق نحو التعرف على كيفية التعامل مع النبات. ومع بداية عام ٨٠٠٠ ق م استطاعت بعض القبائل فى الشرق الأوسط زراعة النباتات.

والزراعة فى الوطن العربى قديمة قدم اكتشاف الإنسان لها، ففى الوطن العربى أقدم الأراضى الزراعية فى العالم والتى يعود تاريخها إلى ١٠٠٠٠ سنة خلت.

وكانت مصر من أول البلاد التى ظهرت فيها الزراعة، فقد عرف قدماء المصريين أهمية الزراعة، وزاولوا نشاطها منذ أكثر من ٦٠٠٠ سنة. وقد وُجدت على مقابرهم رسوم ونقوش ونماذج لطرق البذر والإنبات والحصاد والأدوات والآلات الزراعية التى كانوا يستخدمونها[1].

واعتمدت الزراعة فى بادئ الأمر على قوى الإنسان والحيوان وعلى ما يملكه المزارعون من أدوات قليلة، وعند نهاية القرن السابع عشر بدأ المكتشفون

---

(١) الزراعة (من سلسلة العلم فى خدمة الإنسان) د. محمد الشحات.

تطوير الآلات الزراعية لإعـداد التربة والعمليات الزراعية. وخـلال القرن العشرين قـام العلماء بتـهـجين أصناف جـديدة من النبـاتات، وكـذلك أنواع من السمـاد والمبيدات الحشرية، وصاحب هذا التطور زيادة فى كفاءة الإنتاج الزراعى.

والحـقيـقة أن مـعظم هذا التطور فى مـجال الزراعـة قد حـدث فى الدول الصناعية، وبقى الناس فى الدول النـامية يمارسون نمط الزراعة التـقليدية التى كان يمارسها أجدادهم منذ مئات السنين.

ويمكن تصنيف مـعظم الممارسـات الزراعيـة حسب حـجم وقيـمة السلـعة الزراعية المنتجة لكل وحدة من المسـاحة، ويُسمى هذا النوع من التصنيف «الزراعة المكثفـة أو الموسعـة»، وهى تُمارس حينمـا يكون هناك نقص فى مسـاحة الأرض الزراعية، وتـعتبر الحدائق والمزارع الصـغيرة الموجودة فى أطراف المدن مـثالاً على ذلك. كـما يـمكن تصنيف أنواع الزراعـة حسـب الغرض منهـا إلى: تجـارية أو إعاشية. فالـزراعة التجارية تمارس من أجل إنتاج محاصيل للغـرض التجارى. أما الزراعة الإعاشية فالغرض منها إنتاج ما يكفى لسد حاجة المزارعين.

والمساحة المنزرعة من الكرة الأرضيـة تبلغ ٤,٥ بليون هكتار، وهذه المساحة تشكل ثلث مساحة الكرة الأرضية، وتشغـل المحاصيل الزراعية ثلثى هذه المساحة، بينما يُستغل الباقى فى رعى وتربية المواشى.

وإذا تعرضنا لتوزيع الأراضى المنزرعة على دول العالم نجد أن التوزيع مختل وليس منتظمًا، ففى آسـيا مثلا يعيش حوالى ٥٣٪ من سكان العـالم، بينما توجد فيـها ٣٣٪ من الأراضى المنزرعـة، بينما يعـيش فى أمريكا ٨٪ من سكـان العالم يتمتعون بـ ٢١٪ من المساحة المنزرعة، بمعنى آخر أن ما يخص الفرد فى أمريكا من الأراضى المنزرعة حوالى ثلاثة أضعاف نصيب الفرد فى روسيا مثلا.

ويسعى الإنسان دائـما إلى تحويل ما يمكن تحويله مـن الأراضى الصحراوية إلى أراضى زراعيـة عن طريق الاستصلاح وتوفـير المياه لها، بالإضـافة إلى زيادة الأراضى الزراعية عن طريق ردم البرك والمستنقعات.

والحقيقـة أن مشاريع استصلاح الأراضى شاقـة وتحتاج إلى تكاليف باهظة، ولذلك فـإن مايمكن إضـافتـه من أراضى جديدة إلى مـا يُزرع يُعـد ضئـيلاً جدًّا بالنسبة لما تحتاجه الزيادة المضطردة فى عدد السكان فى كل مكان.

الزراعة فى القرآن الكريم

كرم الله سبحانه وتعالى الزراعة والزراع بأن ذكرهم فى كتابه العزيز فى أكثر من موضع. والزراعة هى الحضارة وهى السكن، فأهل الزراعة أهل حضارة، وأينما وجدت زرعًا وجدت شعبًا متحضرًا ووجدت استقراراً.

ويعلم المزارعون أكثر من غيرهم أن ما يقومون به فى الحقيقة لا يتعدى تهيئة الأرض للزراعة وبذر البذور. أما إنبات الزرع وخروجه من الأرض فلا طاقة لهم به، فالله وحده هوالذى يخرج النبات والزرع. وفى ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة].

وتدعو الآيتان الكريمتان الزراع أن ينظروا إلى الزرع الذى ينبت بين أيديهم وينمو ويؤتى ثماره.. ما دورهم فيه؟. إنهم يحرثون ويلقون الحب والبذر التى صنعها الله، فمن منا صنع الحب والبذر؟. وبمجرد إلقاء الحب والبذر ينتهى دور الزراع وتأخذ القدرة الإلهية فى عملها المعجز الخارق العجيب[1]. وفى هذا يقول المصطفى ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله»[2].

وفى مجال سرد جزء من فضل الله على عباده من إنبات النبات وإخراج الزرع يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام]. (جنات معروشات: أى ما عرش الناس من الكرم. غير معروشات: ما لم يُرفع منها. كلوا من ثمره إذا أثمر: من رطبه وعنبه. وآتوا حقه: أدوا زكاته عند الحصاد وعند الجداد. ولا تسرفوا: قيل: نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس بن شماس حين جدّ نخلاً، فقال: لا يأتينى أحد اليوم إلا أعطيته، فأطعم حتى أمسى وليس له ثمر). وفى الآية الكريمة يبين الله تعالى لعباده أنه وحده سبحانه هو الذى أنشأ النخل والزرع مختلفًا فى طعمه، رغم أنه يشرب من ماء واحد وينبت فى مكان واحد. فطعم

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦١، ص ٣٤٦٨.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٦٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٤١.

الزيتـون يختـلف عن طعم الرمان رغـم وجودهمـا فى نفس المزرعـة وتحت نفس الظروف. كمـا فضل الله بعض النبات على بعض فى الأُكل، فهـذا طعم حامض وآخـر حلو. وفى الآية خص الله تعـالى ﴿النخل والزرع﴾ على اختـلاف أنواعه لكثرة منافـعهما، ولكونهـما القوت لأكـثر الخلق. وأخبر الله تعـالى أنه أنشأ هذا الزرع لمنافع الناس فقال: ﴿كلوا من ثمره﴾. وأمر سبحـانه عباده المؤمنين بإخراج زكاة زرعهم يوم الحصاد[1].

وطلب الله سبحانه وتعالى من عباده أن يتفكروا فى قدرته، فهو وحده الذى يخرج لـنا من الأرض الزرع المختلف الأنواع والأصناف والألوان، رغم أنه يُسقى بماء واحد، وتكمن فى هذا الدلالة الواضحـة على أنه لا إله إلا الله، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل]. وختم الله الآيات بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أى إن تحول مياه البـحر المالحة إلى سحب تحملها الرياح إلى جهـات عدة، ثم سقوط المطر الذى أصبح ماؤه عذبًا، فيأخذ طريقه إلى قنوات أو أنهار أو يُختزن فى جوف الأرض، فيستـخدمه الإنسان فى شربه وسقى أرضه ومـواشيه. إن كل تلك المنافع التى ينتفع بها الإنسان فى حياته دلالـة على أن الله سبحانه وتعالى هوالإله الواحد الفرد الصمد[2]. والحقيقة أنه من نعم الله تعالـى على عباده أن التبخر لا يكون إلا فى الماء الخالص دون ما يحويه من أملاح، ولذلك ينزل المطر صافـيًا خالصًا سائغًا للشاربين فيسـقى الأرض العطشى والنبات. ولو كان التبخر للمـاء وما يحتويه من أملاح لكان مـاء المطر ملحا أجاجـا لا يُشرب ولاينفع النبـات، ولذلك ختم الله. سبـحانه وتعالى الآية الكريمـة بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. حقا سبحانك يارب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٨٠.

(٢) تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ١٤.

ويقول تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد]. (قطع متجاورات: متقاربات. صنوان: المتجمع وأصله واحد. وغير صنوان: المتفرق أصله)[1]. وتبين الآية الكريمة أنه من عظيم قدرة الله أن الأرض تجاور بعضها مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع، والأخرى سبخة مالحة لا تنبت شيئًا. ويدخل فى هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة، وهذه سهلة، وهذه سميكة، وهذه رفيعة. وهذا كله يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو، ولارب سواه. ولذلك ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

ويُذكر الله سبحانه وتعالى عباده أولى الألباب - مرة أخرى - بقدرته جل شأنه فيقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر]. فالله وحده هو الذى ينزل من السماء الماء فيودعه فى الأرض ينابيع، ثم يُخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه، ثم أنه هو وحده القادر على أن يجعل هذا الزرع حطامًا وقتما شاء. وختم الله سبحانه الآية بقوله: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ» أى أن كل هذه القدرة تدل على أنه لا إله إلا الله، وهذا شىء يستدل عليه بالعقل. فتذكروا يا أولى العقول[3]. ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة]. والآية الكريمة تبين لطف الله بخلقه وكمال إحسانه إليهم؛ فهو سبحانه يسوق الماء إلى الأرض الجرز: الميتة البور التى لا نبات فيها فتُخرج به زرعًا ونباتًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم «وهو العلف» وأنفسهم «وهو

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٢٥٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص ٢٣٨. التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٦٧.

(٢) مصحف الشروق المفسر الميسر ث ٢٧٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٣٠٠.

طعام الآدميين»[1]. ونلاحظ من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بدأها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وختمها جل شأنه بقوله ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ سبحان الله ما هذا الجمال!.

ولعلنا نلاحظ أيضا أن كل الآيات السابقة اختتمها الله بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهذا كله دليل على أن أصحاب الفطرة السليمة والعقول الواعية يسهل عليهم فهم هذه الآيات المحسوسة المرئية ليؤمنوا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وليس أجمل ولا أفضل من أن تشبه الإنسان الصالح بالزرع، فالزرع فيه النفع كله؛ ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين فى الإنجيل من خلال آيات القرآن بأنهم (زرع). فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وفى الآية الكريمة يصف الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار يصفهم فى الإنجيل بأنهم زرع أخرج فرخه من قوته وخصوبته، ولكن هذا الزرع يزداد قوة فهذه الأفراخ لا تضعف العود بل تشده، فيخرج العود مستقيمًا سويًّا لا معوجًّا ولا منحنيًا. وكذلك الصحابة - رضوان الله عليهم - هم كالزرع فى نفعهم للخلق؛ فهم جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح[2]. وقال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ فى الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[3].

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٨١٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ٧٢. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الخامس والعشرون ص ١٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٦٦. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٦٩. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٨٤ تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٦٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السادس عشر ص ١٩٤.

والزرع من أفضل نعم الله على الإنسان، ولكن بعض الناس يغترون بالدنيا ويميلون لها ويعيشون مع النعمة وينسون المنعم. وفى ذلك قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف]

وفى الآيات الكريمة يأمر الله رسوله الكريم ﷺ بتذكير قومه بما صدر من الرجلين من الأقوال والأفعال، وما حدث بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، ليعتبروا ويتعظوا بما حصل لهما. فأحد هذين الرجلين وهو الكافر بنعمة الله قد جعل الله له جنتين من أعناب وأحاطهما بنخل، أى أن العنب بوسطها والنخيل قد حف ذلك، وجعل الله بين تلك الأشجار (زرعا) أيضا. وأخبر الله سبحانه وتعالى أن تلك الجنتين أعطت ثمارها وزرعها ضعفين، ولم تنقص من أكلها أدنى شيء. فاغتر هذا الرجل وافتخر وتبجح، ونسى آخرته وقال للرجل المؤمن مفتخراً بماله وأولاده وأنصاره من عبيد وأقارب، قال له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، واطمأن الرجل إلى الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. ورد عليه صاحبه المؤمن ناصحًا له، ومنكرًا له حاله، وذكّره بأن الله هو الذى أوجده فى هذه الدنيا؛ حيث خلقه من تراب ثم من نطفة ثم جعله رجلاً. ثم دعا الرجل المؤمن على الكافر غضبا لربه وراجيًا أن يرجع جاره إلى رشده، فاستجاب الله لدعائه، فأحيط بثمر الجنتين، فلم يبق منهما شيئًا؛ وهذا